ظاهرة الرشوة والمصادرات في الأندلس منذ قيام دولة الموحدين وحتي سقوط غرناطة (٥٤٢-٨٩٧هـ/١١٤٧-١٤٩٢م)

أسماء أحمد عبد الكريم عبد الغني (*)

مرت الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية٤٢٢هـ/١٠٣١م بظروف سياسية مضطربة, تميزت فيها البلاد بالتشتت والتمزق الداخلى الناجم عن صراع الزعامات المتعددة التي أفرزها الوضع المتردي للبلاد, حيث استقل كل أمير بمدينة جاعلًا منها قاعدة ملكه, وأطلق المؤرخون على هذا العصر "عصر ملوك الطوائف", ثم اكتسحها بعد ذلك الجيش المرابطي الزاحف, وبعد انهياره ظهرت قيادات محلية أوقعت البلاد في فوضى عارمة, تمكن خلالها الموحدون من السيطرة على المدن والمعاقل الأندلسية حيث فتحوا شريش وإشبيليه وقرطبه ولم ياتي عام٥٤٢هـ/١١٤٧م حتى كانت معظم مدن الجنوبية تدين بالطاعة لسلطانهم وبعدها استسلمت باقى المدن تباعًا, وكانت موقعه العقاب ٦٠٩هـ/١٢١٢م بداية النهاية للحكم الموحدي في الأندلس وبعدها شهد منتصف القرن٧هـ/١٣م مولد دولة إسلامية صغيرة فتية في جنوب الأندلس وهي مملكة غرناطة(٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م), حكمها سلاطين بني الأحمر, واستمر حكمهم أكثر من قرنين ونصف, فتعرضت فيها البلاد للعديد من الآفات الاجتماعية والأخلاقية ومنها الرشوة التي ارتبطت بالمجتمع, ويعتبر المغيرة بن شعبة (ت٥٠هـ/٦٧٠م) هو أول من رشى في الإسلام(١), فيبين ابن منظور مفهومها في اللغة بأنها "المحُاباة...., الوُصلة إلى الحاجة بالمُصانعة, وأصله من الرشاء الذي يتوصل به إلى الماء, فالراشي من يُعطي الذي يُعينه على الباطل, والمُرْتَشي الآخذ, والرائش الذي يسعى

(*) هذا البحث مستل من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [الآفات الاجتماعية في الأندلس منذ قيام دولة الموحدين وحتي سقوط غرناطة (٥٤٢-٨٩٧هـ/١١٤٧-١٤٩٢م)]، وتحت إشراف: أ.د. جمال أحمد طه – كلية الآداب – جامعة سوهاج & د. أميمة أحمد السيد - كلية الآداب - جامعة سوهاج.

(١) البرزلي: فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام, تحقيق: محمد الحبيب الهيلة, دار الغرب الإسلامي, بيروت, ط١, ٢٠٠٢م, ج١, ص١٣٠؛ الونشريسي: المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق, تحقيق: عبد الرحمن بن حمود بن عبد الرحمن الأطرم, الإمارت العربية المتحدة, دبي, دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث, ط١, ٢٠٠٥م, ص١٤٢.

بينهما يستزيد لهذا ويستنقص لهذا"[١]. وتعرف اصطلاحًا بأنها "الأخذ للحكم بغير الحق أو لإيقاف الحكم, فهذا هو الحرام عندهما"[٢], أي ما يبذله الراشي للمرتشي للحصول على حكم باطل ينتصر به على الحق أو ليتحصل على ولاية ولو كان بها جديرًا, أو يعتدي على أحد بإيقاع الظلم عليه طمعًا في الأنتقام[٣].

تعتبر الرشوة من أخطر التجاوزات المالية التي تؤدي للعزل, فشهد العصر الموحدي الكثير من تلك المخالفات التي انتشرت بصورًا عديدة بين موظفي الدولة العاملين بالجهاز الإداري على اختلاف درجاتهم مبتدءًا بالوالي, فيشير ابن عبدون لضرورة تفقد الولي لئلا يرتشى فيقع الإهمال ويكثر الشر ويرتفع الخوف, والتفقد هنا والمتابعة تأتى من السلطان ورجاله[٤], لما تعرضت له الرعية من ظلم وتسلط من قبل الحكام والولاه, هذا من جهة ومن جهة أخرى اتبع الحكام العديد من الطرق لسلب وابتزاز أموال الناس, وكل شخص لا يستجيب طواعية لأوامر السلطة الحاكمة فإنه يتعرض للسجن والتعذيب والضرب المبرح بالسياط حتى يتخلى عن أمواله, خاصة إذا لم يكن صاحب جاه أو ليس من بطانة السلطة[٥], كما قامت فئة من موظفي الضرائب بأعمال السلب والنهب لأموال الناس باسم بيت مال المسلمين, وآخرون يقومون بسرقة الأموال المخزونة في الدولة والسطو عليها[٦], ويظهر ذلك واضحًا من خلال رسالة وجهها الخليفة عبد المؤمن بن علي إلي الأعيان والعامة

(١) ابن منظور:لسان العرب, بيروت, لبنان, دار صادر, (د.ت), مج١٤, ص ٣٢٢.
(٢) الونشريسي: المصدر السابق, ص١٤٤.
(٣) عبد الله بن عبد المحسن: جريمة الرشوة في الشريعة الإسلامية مع دراسة نظام مكافحة الرشوة في المملكة العربية السعودية,الرياض, د.ن, ١٩٨٠م, ص٥١.
(٤) ابن عبدون: رسالة في القضاء والحسبة, منشور ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب, تحقيق: ليفي بروفنسال, القاهرة, مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية, ١٩٥٥م, ص٥٤؛ محمد عبد الوهاب خلاف: تاريخ القضاء في الاندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي, القاهرة, مكتبة المهتدين الإسلامية, ١٩٩٢م, ص٤٤٣؛ رضا رافع: المهن والصنائع والحرف بالغرب الإسلامي في العهد الموحدي(٥٢٢-٦٦٨هـ/١١٢٩-١٢٦٩م), رسالة دكتواره, كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية, جامعة الجزائر٢ أبو القاسم سعد الله, ٢٠١٦-٢٠١٧م, ص ص١٨٩, ١٩٠.
(٥) كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين, الإسكندرية, مركز الإسكندرية للكتاب, (د.ت), ص ص٣٦٢, ٣٦٣؛ بلحسان محمد: ظاهرة اللصوصية في المغرب الأوسط ما بين القرن السابع والتاسع الهجريين/ ١٣-١٥م, رسالة دكتوراه, كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية, جامعة مصطفى أسطمبولي معسكر, الجزائر, ٢٠٢١-٢٠٢٢م, ص٨١.
(٦) محمد المنوني وآخرون: التاريخ الأندلسي من خلال النصوص, الدار البيضاء, المغرب, شركة النشر والتوزيع المدارس, ط١, ١٩٩١م, ص١٦٧.

في بلاد الأندلس, فمن بين ما ذكرته تلك الرسالة من أنواع الفساد ما يقوم به بعض الموظفين من أنهم "يتسلطون بأهوائهم على الأموال والأبشار"(١), كما شملت الرسالة تهديدًا لكل من يحاول من عماله أن يعبث بأموال المخزن, وكان من بين ما جاء فيها ما يلى: "فإتقوا الله تعالى فيها فإنها أموال المخزونة في أرضه, وبادروا إلى كف كل معتد وقبضه, ولا سبيل لكم أن تنفدوا منها قليلًا ولا كثيرًا إلا بعد استئذاننا, وتعريفنا بالدقيق والجليل مما هنالك"(٢). وكانت المصادرة عقابًا يواجه به ولاة الأمر انحرافات المسئولين والموظفين في الدولة أصحاب الوظائف الكبرى التي كانت تعد مصدرًا للثراء والجاه, كمنصب الأشغال الخراجية الذي كان أعظم من الوزير, فيتعرض للمصادرة والنكبة لمجرد قيامه باختلاس ما, أو لمجرد شك الحاكم في حاله, وذلك وفق تقلب الأحوال وكيفية السلطان(٣), وأصبحوا " يتكففون الناس حيارى على الأقطار"(٤), وانتشرت تلك الظاهرة في العهد الموحّدي بالأندلس, إذ تتبع الخلفاء الموحّدون ولاّتهم وعمالهم بالمراقبة والمحاسبة, واستصفاء أموال العمال المغضوب عليهم الذين اتهموا بالتقصير وخيانة الأمانة, كما حدث سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م, إذ قتل المكلفان بتحصيل زكاة الفطر في إشبيلية, ولم تأخذ المحاسبة بعدًا كبيرًا إلا ابتداء من سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م, ولكنها كانت مكثفة في فترتين الأولى دامت نحو١٣ سنة, بين سنوات٥٥٥-٥٧٩هـ /١١٦٠-١١٨٣م, والثانية دامت نحو٥ أعوام بين سنوات٦٠٤-٦٠٩هـ /١٢٠٧-١٢١٢م(٥), ١٢١٢م(٥), سخط الخليفة عبد المؤمن في الفترة الأولى على الوزير أبو جعفر أحمد

(١) محمد المنوني وآخرون: المرجع نفسه, ص١٦١.
(٢) ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان, تحقيق: محمود علي مكي, دار الغرب الإسلامي, ط٢, ١٩٩٠م, ص١٩٩.
(٣) المقرَّي: نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب, تحقيق: إحسان عباس, بيروت, لبنان, دار صادر, ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م, ج١, ص٢١٧؛ محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني(٦١٠هـ/١٢١٣م- ٨٦٩هـ/١٤٦٥م), الكويت, دار القلم, ط٢, ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م, ص٢٨٣؛ رقية بن خيرة: الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين الخامس والسادس(ق١١-١٢م), دراسة في ظاهرة الانحراف, رسالة دكتوراه, كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية, جامعة مصطفي اسطنبولي معسكر, الجزائر, ٢٠١٦-٢٩١٧م, ص١٨٥.
(٤) ابن عذاري: البيان, تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون, بيروت لبنان والدار البيضاء المغرب, دار الغرب الإسلامي ودار الثقافة, ط١, ١٩٨٥م, قسم الموحدين, ص٢٥٨؛ رضا رافع: المرجع السابق, ص١١٠.
(٥) ابن عذاري: المصدر نفسه, ص٣٨؛ الحسين أسكان: الدولة والمجتمع في العصر الموحدي٥١٨-٦٦٨هـ/١١٢٥-١٢٧٠م, منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية, مطبعة المعارف الجديدة, الرباط, ٢٠١٠م, ص١٧٨.

أحمد القضاعى, وصادر أملاكه لما ارتكبه من المظالم في حق الشعب, وعمد خلفه الوزير عبد السلام الكومى إلى إهلاكه بالسم خشية انتقامه[١]. وقام الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م, بعزل محمد بن أبي سعيد المعروف بابن المعلم عن أعمال مدينة إشبيلية وأمر بمحاسبته والوقوف على عمله وقدم بدل منه ابن جلداسن[٢], ويرجع السبب في ذلك إلى أن ابن المعلم كان مشرفًا على وادي إشبيلية من قبل أبي حفص بن عبد المؤمن, فقام ابن المعلم ببناء بعض القصور الفخمة والدور لأبي حفص, خارج باب الكحل على وادي إشبيلية, أي أنه ذهب ضحية التنافس بين الأمراء الموحدين, فاتهمه الخليفة بتبديد الأموال, وكان ذلك سببًا لعقابه ومحاسبته من قبل الخليفة لمدة شهر تقريبا[٣], وكذلك عزل سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م المسئولين عن بناء المسجد الجامع بإشبيلية, فمنهم: أبو داود بلول بن جلداسن المشرف على أعمال البناء, أبو بكر الياقي, وعبد الرحمن بن أبي مروان بن سعيد, وأبو بكر بن زهر من أهل إشبيلية, ويرجع السبب وراء ذلك لضياعهم للكثير من الأموال أثناء بناء هذا المسجد, ويشير ابن صاحب الصلاة لذلك بقوله: "فظهرت على كتابه وأصحابه خيانه, فعزلوا واستبدلوا"[٤]. وكذلك قام أبو حفص الملقب بالرشيد والي مدينة مرسية, بالسطو على الرعية وعلى التجار بالباطل, وقبض على ابن رجا مشرف مرسية, وجلده بالسوط حتى قتله, كما تسبب في تبديد كثير من أموال بيت المال, كما عمل أيضًا على مواصلة النصارى, وحينما علم الخليفة

(١) المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب, شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهوارى, بيروت, المكتبة العصرية, ط١, ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦, ص١٤٩؛ السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى, تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري, الدار البيضاء, المغرب, دار الكتاب,١٩٥٤م, ج٢, ص ص١١٦, ١١٧؛ يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين, ترجمة وعلق عليه: محمد عبد الله عنان, القاهرة, مكتبة الخانجي, ط٢, ١٤١٧هـ/١٩٩٦م, ج٢, ص٥٣؛ حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين", مصر, مكتبة الخانجي, ط١, ١٩٨٠م, ص ص١٠٨, ١٠٩.

(٢) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين – السفر الثانى, تحقيق: عبد الهادى التازى, بيروت, لبنان, دار الغرب الإسلامي, ١٩٦٤م, ص٣٦٣؛ ابن عذاري: المصدر السابق, ص ١٢١؛ الحسين أسكان: المرجع السابق, ص١٧٩.

(٣) ابن صاحب الصلاة: المصدر نفسه, ص٣٧٣- ٣٧٤؛ ابن عذاري: المصدر نفسه, ص ١٣٩؛ عبد القادر طويلب: النظام الجبائي المالي عند المرابطين والموحدين دراسة تحليلية للقبالات ببلاد المغرب والأندلس, رسالة ماجستير, كلية العلوم الإسلامية, جامعة الجزائر(١) بن يوسف بن خدة, ١٤٣٢-١٤٣٣هـ/ ٢٠١١-٢٠١٢م, ص١٠٢؛ الحسين أسكان: المرجع نفسه, ص١٧٩.

(٤) ابن صاحب الصلاة: المصدر نفسه, ص٣٨٥: ٣٨٧.

المنصور بما فعله والي مرسية قبض عليه وأمر بقتله[١]. وأساء مشرف إشبيلية محمد بن عيسى التصرّف في أموال العامّة, فقام الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م بمحاسبته ووزرائه وعمّاله ومنهم وزيره إدريس بن جامع الذي استصفى أمواله, أما محمد بن عيسى استصفي ما كان عنده من المال والعقار, بعد ما تعرض لشد أنواع التعذيب, وبعدها مات تحت التعذيب وقذف بجثمانه بعد لفه في حصير في نهر إشبيلية. وهذه أول مرة يلجأ فيها الموحدون إلى تعذيب العمال. ولم يقتصر ذلك على الشخص المعني وحده بل شمل التعذيب أقاربه وأعوانه وأتباعه[٢], وأمر ابن مردنيش بمصادرة أموال كل من يترك بلده ويفر من بلاده أمام الغزو وتؤول هذه الأموال إلى المخزن[٣]. وكتبت سيدة من مدينة شلب إلى الخليفة يعقوب المنصور, تشكو إليه سوء معاملة الوالي وصاحب الخراج للرعية, ويبدو أن هذه الرسالة لم تصل للخليفة, فذهبت بنفسها إليه وألقت بنفسها أمامه بعد صلاة الجمعة, "فلما قضى الصلاة وتصفحها بحث عن القصة فوقف على حقيقتها, وأمر للمرأة بصلة"[٤]. وأحيانًا قد يحدث أن تصادر الخلافة أموال أحد العمال ثم تكتشف ظلم هذا الاجراء فترد له أمواله, فحدث مع محمد بن عبد الملك بن سعيد من أهل قلعة يحصب وقد تولى عدة أعمال للموحدين ثم غضب عليه الخليفة المنصور الموحدي ولما صفح عنه ردّ عليه كل ما أخذ منه[٥], على الرغم من ذلك اتبع المنصور نفس سياسة أبيه من مصادرة الأموال, ففي سنة ٥٩٣هـ/١١٩٦م حين استقرّ بإشبيلية حاسب عمّاله هناك, ومنهم أبي سليمان داود مشرف إشبيلية الذي غُرِّمَ مقدارًا من المال بلغ خمسين ألفًا, واستصفيت أمواله, ولم يمتحن كسابقيه هو

(١) ابن عذاري: المصدر السابق, ص١٩٩, ٢٠٠؛ عبد القادر طويلب: المرجع السابق, ص١٠٣.

(٢) ابن عذاري: المصدر السابق, ص١٣٥؛ عصمت عبد اللطيف دندش: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثانى ٥١٠: ٥٤٦هـ/ ١١١٦: ١١٥١م, بيروت, لبنان, دار الغرب الإسلامي, ط١, ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م, ص١٥٨؛ الحسين أسكان: المرجع السابق, ص١٧٩؛ نور الدين بن بلقاسم: المجتمع الأندلسي في العهدين المرابطي والموحدي من نهاية القرن٥/ ١١م إلى بداية القرن٧/١٣م, رسالة دكتوراه, كلية الآداب والفنون والإنسانيات, جامعة منوبة, تونس, ٢٠٠٤- ٢٠٠٥م, ص٣٠٥.

(٣) سحر السيد عبد العزيز سالم: شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي "التاريخ السياسي والحضاري", الأسكندرية, مؤسسة شباب الجامعة, ١٩٩٥م, ص ١٨٥.

(٤) المقرّي: المرجع السابق, ج٤, ص٢٩٤.

(٥) عباس المراكشي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام, راجعه: عبد الوهاب بن المنصور, الرباط, المطبعة الملكية, ط٢, ١٤١٣هـ/١٩٩٣م, ج٤, ص ص١٢٣, ١٢٤؛ حسن علي حسن: المرجع السابق, ص٢٠٧.

وأهله بالعذاب والسجن أو النفي أو القتل, كما أن أمواله لم تصادر[١], كما استؤنفت عملية المحاسبة للمتصرفين بإشبيلية في عهد الناصر سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م, إلا أن مراجعة حساباتهم كانت غير دقيقة "إذ لم يقصد فيها إلى تحقيق", ولم تثبت التهم الموجهة لأحد المؤرخين, فأطلق سراحه, ربما بسبب تأليفه التاريخي, ولكن نظراءه أودعوا بالسجون في مدينتى إشبيلية ومراكش, وأخذت قضيتهم بعدًا سياسيًا كبيرًا فتدخل وزير الأشغال المالية السابق أبي زيد ابن يوجان سنة٦٠٥هـ/١٢٠٨م لإطلاق سراحهم, وكان لذلك وقع كبير في نفوس قبائلهم, وعمتهم الفرحة[٢].

أصبحت مناصب الدولة مطمعًا لكل أصحاب الطموح لأنه وسيلة هامة من وسائل الإثراء, سواء كان ذلك بطريقة مشروعة من خلال عوائد الوظيفة من رواتب سخية ومكافأت كبيرة, أو عن طريق غير مشروع من خلال استغلال النفوذ والرشوة وغيرها من الوسائل غير المشروعة, على أن مثل هؤلاء العمال الذين جمعوا ثروات ضخمة تحوم حولها الشبهات كانوا كثيرًا ما يتعرضون للنكب ومصادرة أموالهم وربما تعرضوا للسجن والقتل, وهذه المحاسبة تشبه ما يمكن أن نطلق عليه في وقتنا الراهن (قانون من أين لك هذا؟)[٣], فقد استغل أبو علي والي إشبيلية في عهد الخليفة المستنصر نفوذه إلى درجة أنه كان يقبض الرشوة على المناصب الهامة فيؤخر بذلك الأكفاء والمستحقين[٤]. وتناولت كتب الأمثال حديثها عن الرشوة, فتقول: "إذا رأيت لحية جارك تنتف, اجعل متاعك فالبال", ويدل ذلك على مدى انتشار الطمع ومنه أكل رزق الآخرين؛ وأن المال حرام, ومنه ينتج الارتشاء[٥], وتؤكد ذلك: "الَّطمع ابُو الفْضائح"[٦]. وكان إكرام الموحدين للقواد الخاضعين والوافدين لهم قد بلغ حدًا كبيرًا إلى درجة أنهم كانوا يقدمون لهم الأموال الطائلة والأعطيات الباهظة مثلما حدث مع الوفد القادم من إشبيلية, الذي كان يتقدمه

(١) ابن عذاري: المصدر السابق, ص ص٢٢٤, ٢٢٥؛ نور الدين بن بلقاسم: المرجع السابق, ص٣٠٦.
(٢) ابن عذاري: المصدر نفسه, ص ٢٥٣؛ الحسين أسكان: المرجع السابق, ص١٨١
(٣) ايهاب عزت عبد السلام: الضرائب والمكوس في المغرب الإسلامي(٤٥٤-٩٥٦هـ/ ١٠٦٢-١٥٤٩م), رسالة ماجستير, كلية الآداب, جامعة طنطا, ٢٠٠٧م, ص١١٥.
(٤) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ, الدار البيضاء, دار الرشاد الحديثة, ج١, ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م, ج١, ص٣٢٣.
(٥) الزجالي: أمثال العوام في الاندلس, تحقيق وشرح ومقارنة: محمد بن شريفة, المغرب, منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي, (د.ت), ج٢, مثال رقم(٢), ص١.
(٦) الزجالي: المصدر نفسه, ج٢, مثال رقم(٣٣٩), ص ٧٩.

أبو بكر بن العربي حين أقبل إلى مراكش مبايعًا للخليفة عبد المؤمن سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م, فقبل طاعتهم وانصرفوا بالجوائز والإقطاعات[١]. وحدث مع وفد أندلسي آخر قدم أيضًا إلى الخليفة عبد المؤمن في سلا, حينما نادى للجهاد سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م, وكان من ضمن أعضاء الوفد حفصة بنت الحاج الرّكّونية(ت٥٨٠هـ/ ١١٨٤م) الأديبة الشاعرة الجميلة المشهورة بالحسب والمال[٢], وما فعلوه مع هلال بن محمد بن سعد حينما جاء بعد وفاة أبيه في وفد مع إخوته وقواته وأصحاب أبيه إلى الخليفة عبد المؤمن في إشبيلية مبايعًا ومستسلمًا له, فخرج إليهم الخليفة يصحبه الأمراء والقواد الموحدون وأكرموا وفادتهم, وأنزل ابن مردنيش في قصر ابن عباد وكذلك أنزل أصحابه في القصور التالية المجاوره له, ويؤكد ابن عذاري ذلك بقوله: "وقد أعدت لهم الفرش والمطعم والمشارب, وأفهموا أنهم الأقارب والأصاحب ورحبت بهم المملكة والدولة"[٣].

كما دبت الرشوة داخل الدولة النصرية, فقد أمر الخليفة محمد بن الأحمر بإلقاء القبض على عبدالله بن ذنون حينما سعى للاستقلال بمدينة مالقة بعد موت ابن هود , فسجن وصودرت أمواله وعذب حتى انتحر في السجن[٤], وتشير إحدى النوازل التي وجهت إلى المواق (ت٨٩٧هـ/١٤٩١م) من ناظر حبس توعده وزير البلاد وهدده إذا لم يسلم الأموال التي بيده, فساق له منها نحو ستمائة مثقال[٥]. وهاهنا ابن ابن الخطيب يرسم صورة للوزير محمد بن إبراهيم بن أبي الفتح الفهري, وزير السلطان محمد بن إسماعيل(ت٧٦٣هـ/١٣٦١م) أقبح صورة وعيَّره بالرشوة؛ فهو في

(١) الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية, تحقيق: محمد ماضور, تونس, المكتبة العتيقة, ط٢, د.ت, ص ٨- ٩.
(٢) المقرِّي: المرجع السابق, مج٤, ص١٧١؛ الزركشي: المصدر نفسه, ص١٠.
(٣) ابن عذاري: المصدر السابق, ص١٢٢.
(٤) النباهي: المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا (تاريخ قضاة الأندلس), بيروت, منشورات دار الآفاق الجديدة, ط٥, ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م, ص ص١١٣, ١١٤؛ الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر, الأسكندرية, مؤسسة شباب الجامعة, ١٩٩٧, ص٣٠.
(٥) الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب, أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي, نشره وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية للمملكة المغربية, ١٤٠١هـ/١٩٨١م, ج٧, ص١٨٤؛ محمد فتحة: النوازل الفقهية والمجتمع- أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي(من القرن ٦هـ إلى ٩هـ/ ١٢ -١٥م), الدار البيضاء, المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية, ١٩٩٩م, ص٧٤؛ نانسي فيصل حسن الرواشدة: الحسبة في الأندلس الإسلامية من الفتح وحتى السقوط, رسالة دكتوراه, كلية الدراسات العليا, الجامعة الاردنية, الاردن, ٢٠٠٥م, ص١٢٠.

نظره "الوزير المشئوم..., المرتاش من السرقة, الحقود على عباد الله لغير علة عن سوء العاقبة, المخالف في الأدب سنن الشريعة, البعيد عن الخير بالعادة والطبيعة, دودة القز, وبغل طاحونة الغدر, وزق القطران,... انطلقت يده على الإبشار, ولسانه على الأعراض, وعينه على النظر الشزر, وصدره على التأوه والرّين, يلقى الرجال كأنه قاتل أبيه محدقًا إلى كميه يحترش بهما خبيثة, أو يظن بهما رشوة"[١].

وكانت الرشوة حاضرة في المنافرة والخصام التي حدثت بين أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان(ت٧٦٣هـ/١٣٦١م) وقاضي بلده أبي عمرو بن المنظور[٢]. كما يرى الفقهاء أن الرشوة حرام سواء كانت للحاكم أو للقاضي أو أي شخص يمارس عملًا يجب عليه أداؤه بدون أخذ مال من أحد[٣], فارتبط انتشار الرشوة بالتزوير وشهادة الزور, فقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بأن يجتنبوا قول الزور, فقال تبارك وتعالى: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[٤], لذا حاول البعض تجنب من يشهدون زور في المحاكم؛ فقد عرضت على ابن سراج (ت٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م) مسألة في ذلك نصها: "هل تجوز الصلاة خلف من يشهد في الأمور المخزنية أم لا؟ وهل: يعيد صلاته من صلى خلفه أم لا إذا قلنا بالمنع؟"[٥].

وقيل "شَاهد دُكَّالة, منْ قاع المَطْمورة"[٦]. ولم يكن غريبًا في ظل مجتمع يتميز بعدم استقرار الوضعية الاجتماعية للفرد وانعدام الثقة أن تصبح الطبقات الاجتماعية ذاتها غير طبيعية في تطورها, فيحدث للفئة المتسلطة من رجالات الملك أن يغلب عليهم طابع الأنانية في إشفاء غليلهم والتذرع بالوشاية فيلجأون بشتى السبل في زيادة أموالهم وثرواتهم عن طريق سياسة مصادرة ممتلكات منافسيهم أو غيرهم من الأغنياء الكبار بعد اتهامهم بشتى التهم كما فعل الولاة والخلفاء في العهدين الموحدي وبني نصر بالأندلس, مَن كان مصدر ماله هو مصادره أموال

(١) ابن الخطيب: الأحاطة في أخبار غرناطة, تحقيق: محمد عبد الله عنان, القاهرة, مكتبة الخانجي, ط١, ١٩٧٤م, مج١, ص ص ٥٢٧, ٥٢٨.
(٢) ابن الخطيب: المصدر نفسه, مج١, ص٢٣١.
(٣) عبد الله بن عبد المحسن: المرجع السابق, ص ص٩٧, ٩٨.
(٤) القرآن الكريم: سورة الحج, أية رقم ٣٠.
(٥) ابن سراج: فتاوى قاضي الجماعة أبي القاسم بن سراج الأندلسي, تحقيق: محمد أبو الأجفان, بيروت, لبنان, دار ابن حزم, ط٢, ٢٠٠٦م, ص١٠٩.
(٦) الزجالي: المصدر السابق, ج٢, مثال رقم(١٨٨٩), ص ٤٣٣.

"المربين والمرتشين وأشباههم من المخلطين ومعاملاتهم وأعطياتهم"[١]. وإذا كانت الرشوة قد استفحلت في الميدان الإدارى, فإن ذلك لم يكن بالقاعدة, فلا يمكن إسقاطه على كل الإدارات, بل عرف بعضهم بالنزاهة الشديدة ؛ ومنهم: محمد بن أحمد المتأهل العبدري (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م), وهو أحد العمال, فقيل عنه: "وجنيب أمانة, وحلْس سقيفة, ورقيب مشرف, لا يقبل هوادة, ولا يُلابس رشوة, كثير الالتفات, متفقدًا للآلة, متممًا للعمل...رجل صايم الحُسْوَة, بعيد عن المُصانعة والرشوة, يتجنب الناس, ويقول عند المخالطة لهم لا مساس"" [٢]. وهكذا انتشرت الرشوة خلال حقبة الدراسة بشكل ملحوظ وكان لها أثارها السيء على الجهاز الإداري داخل المجتمع, كما تتبع الخلفاء ولاتهم وعمالهم بالمحاسبة والمراقبة ومصادرة أملاك المختلسين منهم لأموال الدولة.

أولًا: المصادر العربية:

١- **البرزلي,** أبى القاسم بن أحمد البلوى القيروانى(ت٨٤١هـ/١٤٣٨م): فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام, تحقيق: محمد الحبيب الهيلة, دار الغرب الإسلامي, بيروت, ط١, ٢٠٠٢م.

٢- **البيذق,** أبي بكر بن علي الصنهاجي(ت٥٥٥هـ/١١٦٠م): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين, الرباط, دار المنصور للطباعة والوراقة, ١٩٧١م.

٣- **ابن الخطيب,** لسان الدين محمد بن عبد الله الغرناطي(ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م): الأحاطة في أخبار غرناطة, تحقيق: محمد عبد الله عنان, القاهرة, مكتبة الخانجي, المجلد الثاني, ط١, ١٩٧٤م.

٤- **ابن رشد القرطبي,** أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد(ت٥٢٠هـ/١١٢٦م): فتاوي ابن رشد, تحقيق: المختار بن الطاهر التليلى, بيروت, دار الغرب الإسلامي, ط١, السفر الأول, ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(١) ابن رشد: فتاوي ابن رشد, تحقيق: المختار بن الطاهر التليلى, بيروت, دار الغرب ط١, السفر الأول, ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م, ص٦٣١؛ طالب ريكان صكر: الانحرافات الفكرية في المجتمع الأندلسي (٤٢٢-٥٤١هـ/ ١٠٣١-١١٤٧م), رسالة ماجستير, كلية الآداب, جامعة الأنبار, العراق, ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م, ص٢٠١.

(٢) ابن الخطيب: المصدر السابق, مج٣, ص ٢١٧- ٢١٨.

٥- **الزجالي,** أبى يحيى عبيد الله بن احمد بن محمد القرطبي(ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م): أمثال العوام في الاندلس, تحقيق وشرح ومقارنة: محمد بن شريفة, المغرب, منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي, (د.ت).

٦- **ابن أبي زرع,** أبي الحسن علي بن عبدالله (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م): الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ ملوك فاس, الرباط, ١٩٧٢م.

٧- **الزركشي,** أبو عبد الله محمد بن إبراهيم(٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية, تحقيق: محمد ماضور, تونس, المكتبة العتيقة, ط٢, د.ت.

٨- **ابن سراج,** أبي القاسم ابن سراج الأندلسي(ت٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م): فتاوى قاضي الجماعة أبي القاسم بن سراج الأندلسي, تحقيق: محمد أبو الأجفان, بيروت, لبنان, دار ابن حزم, ط٢, ٢٠٠٦م.

٩- **ابن صاحب الصلاة,** عبد الملك بن محمد بن أحمد(ت أواخر القرن السادس الهجري): تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين – السفر الثانى, تحقيق: عبد الهادى التازى, بيروت, لبنان, دار الغرب الإسلامي, ١٩٦٤م.

١٠- **ابن عبدون,** محمد بن أحمد التجيبي(عاش في القرن٦هـ/١٢م): رسالة في القضاء والحسبة, منشور ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب, تحقيق: ليفي بروفنسال, القاهرة, مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية, ١٩٥٥م.

١١- **ابن عذاري,** أبو العباس أحمد بن محمد(ت بعد ٧١٢هـ/١٣١٢م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب, قسم الموحدين, تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني وآخرون, بيروت لبنان والدار البيضاء المغرب, دار الغرب الإسلامي ودار الثقافة, ط١, ١٩٨٥م.

١٢- **ابن القطان المراكشي,** أبى محمد حسن بن على بن محمد بن عبد الملك الكتامي(ت٦٢٨هـ/١٢٣١م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان, تحقيق: محمود علي مكي, دار الغرب الإسلامي, ط٢, ١٩٩٠م.

١٣- **المراكشى,** عبد الواحد المراكشي(ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب, شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهوارى, بيروت, المكتبة العصرية, ط١, ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

١٤- **المقرَّي,** شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني(ت١٠٤١هـ/١٦٣١م): نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب, تحقيق: إحسان عباس, بيروت, لبنان, دار صادر, ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

١٥- **النباهي,** أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي(ت أواخر القرن ٨هـ/ ١٤م): كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا (تاريخ قضاة الأندلس), بيروت, منشورات دار الآفاق الجديدة, ط٥, ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٦- **الونشريسي,** أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي(ت٩١٤هـ/١٥٠٨): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب, أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي, نشره وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية للمملكة المغربية, ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٧- _____: المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق, دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن حمود بن عبد الرحمن الأطرم, الإمارت العربية المتحدة, دبي, دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث, ط١, ٢٠٠٥م.

١٨- **ابن منظور,** أبو الفضل جمال الدين محمد بن أبي بكر(ت٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب, بيروت, لبنان, دار صادر, (د.ت).

ثانيًا: المراجع العربية والمعربة:

١- **إبراهيم حركات**(دكتور): المغرب عبر التاريخ, الدار البيضاء, دار الرشاد الحديثة, ج١, ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٢- **أحمد محمد الطوخي**(دكتور): مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر, الأسكندرية, مؤسسة شباب الجامعة, ١٩٩٧.

٣- **حسن علي حسن**(دكتور): الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين", مصر, مكتبة الخانجي, ط١, ١٩٨٠م.

٤- **الحسين أسكان**: الدولة والمجتمع في العصر الموحدي٥١٨-٦٦٨هـ/١١٢٥-١٢٧٠م, منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية, مطبعة المعارف الجديدة, الرباط, ٢٠١٠م.

٥- **سحر السيد عبد العزيز سالم**(دكتورة): شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي "التاريخ السياسي والحضاري", الأسكندرية, مؤسسة شباب الجامعة, ١٩٩٥م.

٦- **السلاوي**: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى, تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري, الدار البيضاء, المغرب, دار الكتاب,١٩٥٤م.

٧- **عباس المراكشي**: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام, راجعه: عبد الوهاب بن المنصور, الرباط, المطبعة الملكية, ط٢, ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٨- **عبد الله بن عبد المحسن الطريقي:** جريمة الرشوة في الشريعة الإسلامية مع دراسة نظام مكافحة الرشوة في المملكة العربية السعودية, الرياض, د.ن, ط١, ١٩٨٠م.

٩- **كمال السيد أبو مصطفى**(دكتور): تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين, الإسكندرية, مركز الإسكندرية للكتاب, (د.ت).

١٠- **محمد المنوني وآخرون**: التاريخ الأندلسي من خلال النصوص, الدار البيضاء, المغرب, شركة النشر والتوزيع المدارس, ط١, ١٩٩١م.

١١- **محمد عيسى الحريري**: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني(٦١٠هـ/١٢١٣م- ٨٦٩هـ/١٤٦٥م), الكويت, دار القلم, ط٢, ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

١٢- **محمد عبد الوهاب خلاف**(دكتور): تاريخ القضاء في الاندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي, القاهرة, مكتبة المهتدين الإسلامية, ١٩٩٢م.

١٣- **محمد فتحة**: النوازل الفقهية والمجتمع - أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي(من القرن ٦هـ إلى ٩هـ/ ١٢ -١٥م), الدار البيضاء, المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية, ١٩٩٩م.

١٤- **يوسف أشباخ**: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين, ترجمة وعلق عليه: محمد عبد الله عنان, القاهرة, مكتبة الخانجي, ط٢, ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

ثالثًا: الرسائل العلمية:

١- **ايهاب عزت عبد السلام:** الضرائب والمكوس في المغرب الإسلامي(٤٥٤-٩٥٦هـ/ ١٠٦٢-١٥٤٩م), رسالة ماجستير, كلية الآداب, جامعة طنطا, ٢٠٠٧م.

٢- **بلحسان محمد:** ظاهرة اللصوصية في المغرب الأوسط ما بين القرن السابع والتاسع الهجريين/ ١٣-١٥م, رسالة دكتوراه, كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية, جامعة مصطفى أسطمبولي معسكر, الجزائر, ٢٠٢١-٢٠٢٢م.

٣- **رقية بن خيرة:** الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين الخامس والسادس(ق١١-١٢م), دراسة في ظاهرة الانحراف, رسالة دكتوراه, كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية, جامعة مصطفي اسطنبولي معسكر, الجزائر, ٢٠١٦-٢٩١٧م.

٤- **رضا رافع**: المهن والصنائع والحرف بالغرب الإسلامي في العهد الموحدي(٥٢٢-٦٦٨هـ/١١٢٩-١٢٦٩م), رسالة دكتواره, كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية, جامعة الجزائر٢ أبو القاسم سعد الله, ٢٠١٦-٢٠١٧م.

٥- **طالب ريكان صكر:** الانحرافات الفكرية في المجتمع الأندلسي (٤٢٢-٥٤١هـ/ ١٠٣١-١١٤٧م), رسالة ماجستير, كلية الآداب, جامعة الآنبار, العراق, ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م.

٦- **عبد القادر طويلب:** النظام الجبائي المالي عند المرابطين والموحدين دراسة تحليلية للقبالات ببلاد المغرب والأندلس, رسالة ماجستير, كلية العلوم الإسلامية, جامعة الجزائر(١) بن يوسف بن خدة, ١٤٣٢-١٤٣٣هـ/ ٢٠١١-٢٠١٢م.

٧- **نور الدين بن بلقاسم:** المجتمع الأندلسي في العهدين المرابطي والموحدي من نهاية القرن٥/ ١١م إلى بداية القرن١٣/٧م, رسالة دكتوراه, كلية الآداب والفنون والإنسانيات, جامعة منوبة, تونس, ٢٠٠٤- ٢٠٠٥م.

٨- **نانسي فيصل حسن الرواشدة:** الحسبة في الأندلس الإسلامية من الفتح وحتى السقوط, رسالة دكتوراه, كلية الدراسات العليا, الجامعة الاردنية, الاردن, ٢٠٠٥م.